



الثقافة العلمية واثرها في الصحة العامة

للدكتور علي بك ابراهيم

خطبة الزامة في الجمع المصري للثقافة العلمية

ايها السادة : لا احسبني مجازفاً اذا قررت ان العلم كان يطلب في الصور الحالية للزمنة اكثر مما كان يتنى للنفع العام. بل لقد غالى العلماء في كثير من بقاع الارض في اثرهم فاضنوا على المجموع يذل شيء مما اوتوا من العلم ووضعوا في موضع الاسرار واحجروه لانفسهم وخاصة اهلهم بحري الاحتكار. ثم لقد كان الرجل منهم يعمل الشغل جاهداً ليكون طيباً وكهانياً - وقيلوسوفاً ومهندساً - وعارفاً بالنجوم بل وادياً وشاعراً ايضاً واذ كان هذا يرجع شيء من السبب فيه الى ان الفروق بين بعض العلوم والبعض الآخر لم يكن تام الوضوح فليس من شك في ان من ام اسباب ذلك تلك الاثرة في العلماء وان كلا يود او يتأثر وحده بمجهره العلوم كلها فلا يدع منها كثيراً ولا قليلاً لغيره من الناس

فلم لقد خفض الزمن من هذه الاثرة العلمية وقل من حدتها وأقبل جماعة العلماء على التدوين والتأليف في كل ما عرفوا وجلسوا للدرس يعلمون العلم ويشرحون تضايها لكل من شئت مجالسهم من طامة الناس. الا ان العلم مع هذا بقي دهرراً محصوراً بين العلماء وتلاميذهم وبعبارة اوضح ان جمهور الشعب لم يكن يتجسس من العلم شيئاً يذكر

ايها السادة : لا خير في علم لا يتفهم به الناس ولا خير في علم لا يتفهم به اكبر عدد من الناس. ولهذا شرع الله العلم وبعث العلماء على ظهر الارض. واذ كان ما ذكرناه شأن الحياة الادوية في الصور الحالية فلقد كان شأن الحياة المادية كما تعلمون اشد وانسى

على ان الانسانية قد كادت عن نفسها بكل الوسائل ابتداء من القرن الماضي حتى بلغ الانسان حقه او كاد في كلتا الحالتين على السواء. وكان بعد ان تقررت له الحقوق والحريات المختلفة ان ظهر اخيراً هذا المنهج الحليل النبيل مذهب « نشر الثقافة العلمية ». والغاية التي تذهب اليها هذه الفكرة هي ترويض كل فرد بقدر من المعلومات العامة والمشاركة بهم في اوليات العلوم والفنون ترويضاً للحياة الانسانية وتدفع عنه كثيراً من اخطارها. وربما اجدت عليه مجليل من ثمارها. وانما يقاس الآن رقي الامم بالثقافة العلمية لا بكنزها من فيها من العلماء. وفي الواقع ان في روسيا عدداً لا يحصى من الخول العلماء والمستكشفين

والمخترعين والادباء والكتاب وهم لا يظنون عن غيرهم في الامم الاخرى سعة علم وجلالة قدر. ولكن لا يجرؤ احد على أن يسوي الامة الروسية بالامة الانجليزية مثلا بفضل ما اخذت هذه الاخيرة نفسها به من الثقافة العلمية

ايها السادة : الواقع ان الفرد منا يعيش على حساب طوائف من المجهودات يقوم بها آلاف من الناس كل في سبب خاص من اسباب الحياة المختلفة وهذه قضية بدئية لا تحتاج الى شرح ولا بيان. ولقد دعا تقدم العلم واطراد الحضارة وتحقيق المصلحة العامة الى التخصص في الفنون والعلوم كذلك بحيث يتجرد كل فنان او عالم الى معالجة علم او فرع من علم يوفر عليه كل ما فيه من جهد وذكاء واستعداد. وبهذا جادت الفنون وازهرت العلوم وانكشف كثير من الحقائق العلمية التي عادت على المجموعة الانسانية كلها بالخبر والرقاية

ايها السادة : ليس يصير العالم المختص الا يكون له خطر في شيء من العلم بغير الفرع الذي يتعامله ويتوفر عليه بكل جهده. فحبه انه قائم على ثمره وحبه انه قائم بتثنية المجموع في ناحية من نواحي حياته. اما مجموع الشعب فواجب اخذه بالثقافة العلمية وهي كما سلف التزود بقدر من المعلومات العامة المشاركة بقسط من اوليات العلوم والفنون. وهذه المعلومات انما تتبدى في المدرسة وهي تستمر بعد هذا الى غاية الحياة ومن ابلغ وسائلها الصحف والمجلات العلمية والادبية والرسائل التي يطالع العلماء بها الجمهور من حين لآخر وشهود المحاضرات وغشيان مجالس اهل الفضل ودور السينما والرحلات العلمية ونحو ذلك مما تتفق به القول. ويزيد في حصول الفرد من شتى المعلومات في مختلف اسباب الحياة حتى تصبح معلوماته اقل من المعلومات التي كانت في السابق من معلومات علماء كبار في القرون الخالية كما اصبح تحصيل العلوم نفسها ايسر واهون لمثل ما بادتها في اليثبات العامة بحكم انتشار الثقافة العلمية فضلاً عن ان التخصص في علم ليس مناه القطيعه التامة لتيره بل ان الأمر يجري على العكس بحكم الاتصال القائم بين افراد أسرة العلوم سواء اكان هذا الاتصال قريباً ام بعيداً مباشراً ام غير مباشر

أثر الثقافة العلمية في الصحة العامة

ايها السادة : لا شك في ان من ابلغ ما احدثت الثقافة العلمية على الانسانية اثرها في الصحة العامة فنقد قدر مجموع الناس قدر الطب وعرف تماماً ان علاج الأبدان انما هو من صنعة الأطباء لا من صنعة الدجالين. عرف قيمة الوقاية من الأمراض حتى جرى على لسان الجميع ذلك التل المشهور « الوقاية خير من العلاج » كما عرف قدر الرياضة البدنية وأثرها

في تقوية أعضاء الإنسان بحيث يحتمي بها من كثير من الأمراض والآلام . كذلك فهم مدى أثر النظافة في مدافعة كثير من الملل وصيانة الجسم مما يلقى به من بواعث الأمراض والأسقام . فهم الماكولات الضارة بحكم طبيعتها أو بما يلوئها من الأقدار والأضرار ، عرف الميكروب وغيره من أسباب الأمراض المختلفة وآمن باتصال بعض الأمراض بالعدوى المباشرة أو بالوسائط الأخرى وأدرك أن العوض أداة الملازما وأن البرغوث وسيلة الطاعون وأن القملة مطية التيفوس . انكشف له ما في تلوث الماء واللبن والخضر من إنشاء الحمى التيفودية أو الكوليرا . فهم لقد استطاعت الثقافة العلمية ان تكشف هذا وغيره لمجايح الشحوب التي اخذت نسبا بها فتمتني الأفراد بالوسائل السهلة الصحيحة ما لا يحصى من شذائد المضار وفواتك الأخطار

أيها السادة : لا زال في حاضر علمكم ما كانت تفعل الطوائع والأوبئة العامة في أكثر بلاد الله حتى لقد كانت في بعض الأقاليم مقيمة لا تكاد تبرح الأريثا يخلق الله لها نباتا من الناس جديداً لزعا . وكثيراً ما كانت تدغم بلاداً فتعصف بأهلها ما تفهم منهم عن كثير ولا قليل . ولقد زالت الآن بحمد الله عن أكثر البلاد وهي في طريقها الى التلاشي التام عن ظهر المسكونة في القرب ان شاء الله . واذ قيل ان الفضل في هذا يرجع الى علم العلماء وطب الأطباء فلا ينبغي ان ينسى ان الفضل الأكبر انما يرجع الى نشر الثقافة العلمية بين الشعوب . فلقد كان من أثرها الأخذ بأسباب الوقاية أولاً والاتجاه الى الطبيب ثانياً حتى اذا انبعث الوباء من أية ناحية من النواحي كانوا هم جنود الأطباء بعد ان كانوا في هذه الأحداث العامة حرباً عليهم لا هدنة فيها ولا سلام . وكثما قد شهد هذا في نفس بلادنا هذه او سمع من شاهده في الأوبئة التي اعترتها في مختلف القرن الماضي ومفتتح القرن الحاضر

أيها السادة : ان دعوة هذه بعض آثارها الحقيقية بكل عمون وتأيد . وأن القيام بهذه الدعوة والسل على تحقيقها ليس واجباً وطنياً فقط بل هو واجب انساني أيضاً لأن الانسان المستير هو الذي لا يَدْخُل في واجبات الانسانية اي اعتبار لا من جنس ولا من دين ولا من وطن

وأن مصر التي اصبحت تنبارى فيها النهضات من كل ناحية لا يمكن الا ان تصنع صدرها لواحدة من اجلها وأعودها بالنفع العام — وهي الثقافة العلمية

فجدير بنا — أيها السادة — ان نحيي بعضنا بعضاً وأن نتواصي بالعمل بكل ما اوتينا من قوة لتحقيق هذا المطلب الثيل وأن ندعو الله تعالى ان يحفظ لمصر باعث مجددها وحامي همي نهضاتها جلالة مولانا الملك العظيم